الحياة الجاهلية ولم يكن الشعر إلا تعبيراً عن هذه الحياة .. وإنما الذى نعنيه أن الشعر الجاهلي وهو شعر غنائى تناول المدح والهجاء .. والفخر والغزل .. والرثاء والوصف .. وغير ذلك من أغراض ذاتية تتصل بذات الشاعر أو ذات القبيلة لم يكن من الوثنية فى شىء ، ولم يكن كذلك فيما يخص نهج القصيدة العربية وعمودها القديم .. وعلى ذلك فان النظر إلى ظهور الإسلام من حيث علاقته بذلك كله وتأثيره فيه من خلال ذلك الاعتبار للديانة الوثنية فى العصر الجاهلى أمر لا يشبه أو يحازى أوضاع الأدب الوثنى القديم الذى حاربته المسيحية فى العصور الوسطى .. بمعنى أننا لا نرى وجهاً لهذا التعليل فيما يخص الشعر الجاهلي وعدم انقطاع تقاليده فى الشعر العربى بعد الإسلام . وأما التعليل الصحيح فهو الذى أشرنا إلى ناحية من نواحيه من قبل ، تلك التى اهتدى إليها الدكتور مندور نفسه حين يقول :

« إن الشعراء كانوا يستطيعون رغم خضوعهم لتقاليد الشعر الجاهلى أن يقولوا شعراً أصيلا جميلا صادقاً وذلك ما واتاهم وحى الشعر وتملكوا القدرة على خلق الصور والتعبير عن إحساسهم ، وأما الموضوعات فتلك قوالب يصب فيها الشعر ، ولقد كان باستطاعتهم أن يشكلوا تلك القوالب كما يريدون ولكنهم لسوء الحظ لم يفعلوا . . لم تأت المحنة إذن من التقيد بالأصول الفنية للقصيدة القديمة ولا من الأخذ فى نفس الموضوعات التى أخذ فيها الجاهليون والأمويون ، وكلها موضوعات إنسانية شغلت منذ الأزل وستشغلهم إلى الأبد ، وإنما أتتهم من تقيدهم بالتفاصيل »[1] .

ونحن لا تعنينا هذه التفاصيل الآن ، لأن الفكرة التى نريدها تكمن فى ذلك الطابع الإنسانى العام الذى طبع الشعر الجاهلي ، وهو الذى دفع الشعراء بعد ذلك إلى الأخذ عنه مما لا يدع مجالا للخوض فى أمر الوثنية التى تبدو غير

---

(١) النقد المنهجي ص ٧٦ – ٧٧ .